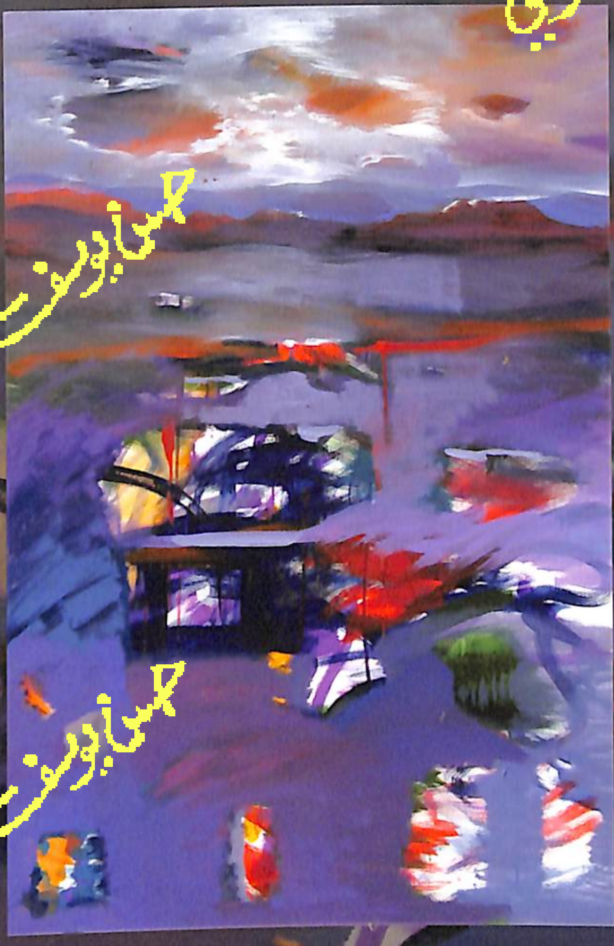
قصائد من أعلى الهضبة وظلال الرمل

شعر



عاشور الطويبي

مجلس الثقافة العام

قصائد من أعلى الهضبة
وظلال الرمل

إصدارات

مجلس الثقافة العام

قصائد من أعلى الهضبة

وظلال الرمل

شعـــر

عاشور الطويبي

الناشر

مجلس الثقافة العام

اســـم الكـتاب　قصائد من أعلى الهضبة وظلال الرمل (شـعـر)
اســـم المؤلـف　عاشور الطويبي
سـنـة الـنـشــر　2008 م
رقــم الإيــداع　819 / 2008 م
الترقيم الدولي　4 - 742 - 38 - 9959 - 978

تصميم الغلاف　علي العباني
لــوحـة الغلاف　علي العباني
التنفـيذ الفنـي　دار قـــباء الحديثة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت
هاتف 002185468622　- بريد مصور 002185473161
فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار
هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388
ص ب 2764 طرابلس
فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني
هاتف 00218612241577 - 00218612241578
بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي
بريد إلكتروني - LCG2_2005@Yahoo.ca

قصائد من أعلى الهضبة

- 1 -

مطر يتساقط بين يدي الطفلة على سطح البحر،
الأشـجار، كلـب الـصياد الـرابض تحـت الكثـيب،
السحب الداكنة التي تأتي سريعة من الشمال الغربي
كلها تـرقب المشهد، تتنفس انعكـاس الـضوء من بين
أصابع الطفلة الجميلة.

من وراء الرمل تأتي الخطوات
بلا عجل تتبع رائحة المطر
ونحو البحر تسير الآمال البسيطة
بينما موسيقى الكون تصفف قطرات الماء المتساقطة
في صندوق الأبدية.

- 2 -

في البيت الطيني نامت أحلامه، وعلى طاولة من خشب البلوط تتدحرج أشواق العمر

كان طفلاً يتدرب على اللغة الجديدة.

الكلمات الصفراء والحمراء تسبقه إلى ساحة اللعب، ترسم دوائر ومربعات في الهواء، تشبك أطرافها كرسيا يطير به في السماء.

كان زمنا يمكن أن تحمله في قبضة اليد دون تعب.

- 3 -

مساء آخر يمضي إلى طرف الوادي البعيد
سيأتي الصياد هذه الليلة
سيمرّر كفيّه الخشنتين على كتفيها العاريين
ويشدو الخضّير بصوته الخجول فاضحاً أسرار الرعشة.

- 4 -

هل تنوح شجرة البلوط حين تسقط أوراقها؟
يقول الطائر الصغير يمشي خلف أمه.
خشخشة العيدان الصغيرة على الأرض مخيفة
الصمت مخيف
والقوس البعيد
بعيد.
سيصل إليه ذات فجر قريب
تقول الأم التي طارت في الفضاء.

- 5 -

من يطرق بابي ؟
من يلعب تحت نافذتي ؟
من وضع رائحة النعناع المطري في فنائي ؟
من الذي يصعد سقف بيتي ؟
من يتطلّع إلي بعينيه المدهشتين ولا يتكلم؟
من الذي ترك الضحكات الجميلة الناعمة تحت وسادتي ورحل؟

- 6 -

خطوات التائه قريبة للأذن
والقلب صدى لما تراه العين
الأرض لا تلامس قدميه
والذين وراءه، في قبضة الوهم القاسية
تحت سماء عارية إلا من الخوف
يصرخون ولا صوت يصعد الفضاء.
خطوات لا تتْبعها خطوات
لا شيء سوى مسارب تلتفّ على أحلام بعيدة.

- 7 -

قد يفيض النهار بالأجوبة.
قال العاري تحت الشمس الحارقة
البحر الذي غادرته السفائن لم يستطع فكّ الأحجية
والشاطئ يكدّس رماله على أنين موحش
والقوس المعلّق على صدر المدائن خانه أهله
قد تكون رائحتهم تتبعها هذه الطيور
قـد تكـون أصـواتهم قابعـة وراء سـور المقـبرة في
انتظارهم حين يعودون
قد يفيض النهار بالأجوبة.

- 8 -

جسر الأئمة يئن

من ثقل الأحذية الفارغة

من صراخ في أول النفق

من أنفاس دحرجتها أقدام الكراهية

من نار تحرق أعشاب النهر الحائر منذ دهور

جسر الأئمة تابوت كبير

بحجم البلاد.

- 9 -

من شبّاكها ترى

صومعة الحبوب البعيدة بيضاء كالثلج

تسافر أفكارها إلى الغابة طيورًا ترفرف أجنحتها

أشواقًا ورغبات.

خطوط الكهرباء تتقاطع في الفضاء الرمادي

شاشات تليفزيون، فتيان وفتيات يرقصون، أغاني من

الزمن القديم، نشرات أخبار، رؤساء دول لا يضحكون

جنود مشاة يرفعون بنادقهم أمام جموع غفيرة

ورائحة كعكة شهية

- 10 -

أنا والبحر
صامتان
نستمع إلى الكون يعزف
قطعته الأثيرة في مقام الصبا.
البحر ينظر إليّ باسما.
لا أستطيع أن أتحرّك كي لا أخدش المقام.

- 11 -

الوقت ضيّق، والأقدام سريعة على الإسفلت الواسع.

من أين أبدأ النزول؟

سلّم هنا يرفع راحتيه

مستسلما أمام جمعية القضاة الوطنيين

لوحة عالية، ملوّنة بعرض الشارع

تفور منها فقاعات السفن أب

سيارات سوداء معتمة النوافذ تجوب الساحة

أشجار نخيل في صفوف منتظمة بعراجين فارغة جافة

إشارات مرور تتبع النظام في رصانة

من أين أبدأ النزول إلى الهاوية؟

- 12 -

يتكرر المشهد

باب المقهى الزجاجي مفتوح

ثلاث طاولات خشبية على الرصيف

رجل يجلس بمعطفه الكاكي واضعًا رِجلاً على رِجل

يده تحت ذقنه الخشنة

عيناه تنظران نحو النادلة السمينة تفوح منها رائحة القرفة

وخلفها يسير الصباح في هدوء.

يتكرر المشهد

....

قهقهة الشرطي يتفحّص باب المقهى الزجاجي المفتوح.

- 13 -

لتختبئ أيتها الحكايات عن أعين النائمين
هنا بين الأعشاب الطويلة في الساحة
سأقف حارسًا لكم
دقّات الساعة ستكون غطاء لضحكاتكم
المطر الدافئ سيأخذ الشرطي بعيدًا عنكم

لتختبئي أيتها الحكايات
لن تقدر أصابعي أن تحملكم
لن يقدر الليل أن يطيل من رقصكم
ولن يقدر جيبي أن يحمل أبناءكم عنكم
فهو ملئ بالحكايات القديمة الهاربة.

- 14 -

نهر بين قضبان من حديد متين
وراء بيوت بيضاء وصفراء وبرتقالية
قرب شاحنات تجلجل وسيارات فارهة
نهر
يحاذي
رجالا ونساء يسيرون
بعضهم يميل على كتفيه ضاحكا
وبعضهم يرتعش من النشوة
وبعضهم يبكي
وبعضهم يبول
وبعضهم يموت

ذات المشهد يتكرر

لا جدوى من التوقف

نهر يرى كل شيء

ولا يقول شيئا

حتى يلتصق النبع والمصب

حيث

لا أحد هناك.

- 15 -

مقهى الفرسان في أول النهار
يستقبل الشمس في هدوء النبلاء
درجات المدخل جاهزة للإغواء البريء
وفكرة بسيطة عن الحياة تجلس في الركن البرتقالي
وأنت وحدك تخاصر فنجان القهوة في فتور الشيوخ.

- 16 -

برقّة مساء خريفي
تميل الفتاة القادمة من الريف
على كورنيش المدينة
يأتي البحر من بيته في الميناء العتيق
على كفّيه وداعة السنين
يرقص الجسدان في ساحة الشهداء.

- 17 -

عليّ أن أفهم
غضب البركان
وسوسة الشيطان
رقص السمك في الماء
هسيس النار ورائحة الدخان
ارتعاش اليدين وقت الملامسة
انكسار الضحكات على الأَسِرَّة الباردة
عليّ أن أفهم
كيف تغلق عينان لم تريا الحياة؟

- 18 -

خمسة مصابيح تضيء على خط الأفق
وفي الشرفة ما بين أعمدة الإسمنت
يضيء مصباح وحيد
الأمر لا يهم العصافير التي نامت في أعشاشها
ولا يهم الجالس أمام الكومبيوتر يبحث عن الكلمات
ليضعها في قصيدة
ولا يهم بيتهوفن الذي وضع هذه السوناتا ما بين 1796 و 1798
ولا ويلهلم كيمبف الذي عزفها 1951.12.19
لا أحد يهتم
لا أحد يمكنه أن يفهم عمق هذه اللحظة الخالدة.

- 19 -

ترك الحليب أمام الباب
أنيقًا في حافظته الزجاجية
لا يشعر بالعطش
ولا بالرغبة في تدفق الماء البارد على جسمه
ولا أن يقرّب أنفه من زهرة القرنفل البيضاء
يستنشق عبيرها مغلق العينين
كل ما يريده أن يرى النوم
يتسلّل في هدوء من نافذة الغرفة.

- 20 -

سكون فخم في أصوات هذه الليلة
أخر سحب الصباح تلتفت إلى الوراء وهي تقترب من
قرص الشمس خلف القوس المغربي
تمسح المكان بعينين حزينتين، ومؤذِّن الجامع
يصل الشهادة ببحة مجروحة النهاية
الحمائم التي وقفت على سقف بيتي طوال النهار
مدّت أجنحتها وحلقت في الفضاء
القمر مستلقيا على سريره البرتقالي يرقب من بعيد.

- 21 -

لعلّها الريح
لعلّها ضحكة الحارس أمام شاشة التليفزيون
لعلّها برودة منتصف الليل
لعلّها رائحة الوردة الوحيدة
لعلّها لمعان عينيها ساعة اللقاء
لعلّها الحياة التي لا نعرفها.

- 22 -

هاأنذا أعبر الشارع دون خوف

لم أفكر كيف ولماذا.

أشعر بفخر أنني عبرت الشارع دون خوف

ربما لم يكن شارعًا حقيقيًّا !.

- 23 -

أخي
وقف أمام البيت
وقد سحرته السحب التي بعثرها ذلك النهار
الراعي العجوز لوّح يده في الهواء
يتبع قطعان ماشيته صاعدًا الجبل
لم نسمع سوى صيحته الخافتة
وقد حطّت على عتبة الباب
كان في ردائه الرمادي باردا
كالشتاء الذي مرّ على قورينا.

- 24 -

حقول القمح في الوادي الذي شهد طفولتنا
هشّمتها ريح القبلي المجنونة
والجرذان والجرابيع والسلاحف فرّت إلى أعلى الجبل.
الطيور وحدها التي ذهبت إلى البحر.
ها قد طلع القمر خلف شجرة العرعار
ذات الظل العطر
أراه
كأنه يبحث عن شيء ما!.

- 25 -

بالأمس قادمًا من قرية الصخرة العالية
تذكّرت وقتنا الذي قضيناه قرب النبع
تحت الصخرة السوداء
حيث التقينا بصيد الليل
لم ندر كيف تركنا نعبر مسرب جدول الحلزون
لقد رأيت في عينيه صراخًا كبيرًا
غامضًا كالماء.
لا زلتُ أحمل قطعة من ذلك الصراخ في قلبي.

- 26 -

كنت عند المرفأ هذا الصباح
جاءت السفن القادمة من الإسكندرية
اندرونيكس وزمرته كانوا هناك
يحصون العبيد وجرار الخمر
لم يكن في السفن بريد
وليس من أحد يعرف شيئا عن هيباتيا.

- 27 -

هيباتيا

لِمَ تجلسين على شرفة منهكة؟

ها قد جاءت الشمس من خلف شجرة الرمان

والتلاميذ الصغار، أصواتهم المبتهجة

تتقافز مع قطرات الماء.

تقومين بالجلوس الصامت أمام القطة النائمة في الشمس

لا السماء ابتعدت

ولا هي في قبضة يدك الصغيرة

هل تفهمين كلام الريح؟

أم أنّك الصباح يجلس أمام شرفة منهكة؟

- 28 -

شوارع الإسكندرية
مدخل الغرباء
بحديدهم ودخان نارهم
وأنفاسهم المنهكة بسياط القبلي
وشحّهم الذي لا يضاهى.
الذين قدموا من شرقها فتنوا وتشتتوا في التيه
والذين قدموا من غربها ضربت الصحراء عيونهم بستار الوحشة الأبدي.

هيباتيا
هل تسمعين صدى خطوات
الصباح المشبّع برذاذ البحر
والصبية الصغيرة تضع وردة على عتبة الباب؟
في ذلك الصباح
لم يستيقظ رئيس الأساقفة مبكرا
ولم تهمه صلاة الفجر
ولا الرغبة في رؤية البساتين الواسعة
كان يتحسّس قلبه
وهو يسمع صياح الغوغاء في شوارع الإسكندرية
كانت أشلاؤك المهشمة تقترب من البحر.

- 29 -

العشيّة مليئة بالريح، العربات تدخل الطرقات، الأطفال الذين خرجوا من مدرستهم تميل أجسادهم الصغيرة وهي تدفع الكلمات القصيرة والضحكات إلى جانبي الطريق.

لا يهم ما تفعل الريح

ولا يهم أيضا لو هربت ونحن نيام قبل بزوغ الفجر.

حقا لا يهم.

ما يهم هو أن أستيقظ صباحا وأنا أسمع همس العشب تحت النافذة الخشبية.

\- 30 -

الطريق شديد الانحدار

لكنه في نهاية الأمر ينتهي إلى ساحة صغيرة

وثلاثة حيطان

نادلة المقهى ترمق الجالسين بعين الرضا

بينما القطّة الرمادية تلعق إصبع الدمية تحت الكرسي

ملصق: الرياضة تنعش القلب....الغذاء سر الصحة.

باب على شكل قوس ويد من حديد مؤكسد.

الطريق شديد الانحدار

لكنه يؤدي إلى ساحة الغرباء.

- 31 -

من بعيد يأتي خافتًا صوت السفينة
قالوا إنها لسيّاح من فرنسا أتوا لرؤية البلاد العذراء
قطع من تاريخ لم يكن ملكهم
تتفتح عيونهم وراء كاميرات رقمية
ياه يا للروعة
خبز الجمر
الأكل باليد
الطاقية الحمراء وبروزها الشبقي
ما أكثر الجمال
يا للمخلوق الأسطوري
لماذا غادر الرومان هذه الأرض؟.

من بعيد يأتي خافتًا صوت بكاء امرأة

من صحراء

......

لا ينبت فيها

إلا الخوف.

- 32 -

سأكتفي بالنظر
لن أفتح فمي
ولن أسمح للكلمات مهما كانت نبيلة أن تدخل أذني
المدينة غارقة في الظلمة
والأحلام تتسرب ثقيلة من عيون القوم النائمين.
سأكتفي بالنظر
ولن أدقّق في تفاصيل المدينة
التي استقبلت الفجر الخائف في صمت.

- 33 -

واحد

اثنان

ثلاثة

رائحة النعناع تغمر الدرج

من أعلى يبدو فستانها كقطعة من السماء

الريح ناعمة تهب من حافة الدرج

أوراق العنب تستند على شماعة المدخل في استسلام فخم.

واحد

اثنان

ثلاثة

مقهى الغجرية الراقصة

يستقبل رواده بهدوء.

واحد

اثنان

ثلاثة

مساء يولد من صباح كئيب.

- 34 -

من بين يدي تهرب أسراب النمل الصغيرة
لم أرغب في ملاحقتها
ولم أرغب في قتلها
ولم أفهم حتى الساعة
كيف انسابت في هدوء في شقٍّ الأرض.
أستلقي على ظهري تحت شجرة البريسيانة
أتابع خفق جناحي طائر بعيد في الفضاء.

- 35 -

قطرات المطر تقترب من شجرة الخوخ في حياء
لقد عاود الصيف مجيئه وغادر الشتاء على عجل
لم يترك سوى
قطرات مطر
تقترب من
شجرة الخوخ
في حياء.

- 36 -

وأنا راجع إلى بيتي في المساء
لم أفكر في الغيوم الكثيفة قرب الساحة
لم أفكر في مائدة جارتي المغربية
كنت فقط أحاول أن أتذكّر لحن مقطوعة سامي الشوّا
سماعي ثقيل على العود.

- 37 -

سأحاول أن أكتب قصيدة
مع ابني خليل
ونحن نستمع إلى جيمس تايلور
أطلب منه أن يبدأ
يبتسم ويقول لي:
ليبدأ أخي علي،
لا تكتب كل ما أقول،
أمهلني قليلا أفكّر، فالشعر يحتاج إلى أفكار
ألا تفكّر قبل أن تكتب؟.
يستند على حافة الباب
قبعته في يده ونظره للأمام
يبحث عن كلمات لقصيدة.

- 38 -

القطار جاء في موعده تماما
متباهيا بحافته الأمامية الرمادية
والمصباح الكبير والخط البرتقالي العريض اللمّاع
عمود الكهرباء ينحني في نعومة باذخة
عمودا سكة الحديد يمتدان في استرخاء مطمئن
الحقيبة الجلدية السوداء تقف وراء المرأة
التي بجانب الرجل الذي يضع يديه الاثنتين في جيبيه.
القطار جاء في موعده تماما
متباهيًا بواجهته الأمامية.

- 39 -

لعلّني أميل إلى الهدوء كون أنّني شاعر والخ..

لكنني لم أكتب منذ مدة

حاولت.

الكلمات

كالفاكهة المتعفنة.

الصور

متغضنة كحركة الأشياء في زنقة مهملة.

لا شكّ

صعب

كتابة

قصيدة جديدة.

- 40 -

الليلة نزل شهاب قرب مدرس الطويبية الشمالية

لم يكن أحد هناك

فقد اقفل المغربي متجره

والجيران يتابعون:

لن أعيش في جلباب أبي.

- 41 -

أصوات الناس تذوب كالزبدة على قوس السهو
ستارة القلب مشرعة على ساحة الغيم المتباعد
زند امرأة على طاولة مقهى لا تأت إليه الشمس
والمواعيد ملقاة على رصيف الأمنيات.

- 42 -

للطائر أن يحلّق في الفضاء عاليا ما شاء
يرى الأشجار تغطيها الثلوج البيضاء
والدجاجات تهرب إلى بيوتها الطينية
والأطفال تلمع عيونهم من وراء النوافذ المغلقة
أن يسمع شارلي باركر يعزف مقطوعة الطائر
أن يرقص مع حبات المطر دون أن يختل إيقاع واحد
أن يحلم بركن قرب المدفأة
قريبًا من المرأة ذات الفستان الأحمر
ممسكًا يدها الناعمة ويعد حبات عقدها الملونة.

- 43 -

من ذا الذي أعطى
للتراب
رائحة الطحلب
ولقلب الجبل البركانيّ
أصوات العجائز ؟
من ذا الذي أخفى
البلاغة في سور البيت الحجري ؟.

- 44 -

قرع طبول حزينة تأتي من وراء جبل خاصمته السكينة
ارتعاش حبيبات ندي فوق الدروب المهجورة
وأصابع ترتفع في الفراغ
تحاذي
هطول أمطار وسواقي من بلّور إيراني.
وروداً تنحني للعابر الغريب
شجراً يحمل ليل المسافات في صمت.

- 45 -

العابر الذي رفع صوته بالغناء المحرَّم
أخذ كلماتي وأعطاني قدميه
لأجوبَ البراري في كاندوفان
وأسمع صهيل الخيل على مفترق الشهوات
العابر الذي رفع صوته بالغناء المحرم
أخذ زوّادتي للطريق
وأعطاني يديه
لأمسكَ الشعلة الأولى.

- 46 -

انظر أمامك
بريّة تنتفض
خيل وغبار كثيف.
هؤلاء الذين جاءوا مع المساء وغافلوا الحرّاس
ضحكوا في وجه الشمس المائلة على قوس المدى
سألوا عن أطيار غادرت بلدتهم ذات نهار
سألوا عن ساقية كانت شاهدة أعراسهم
مددت يديك إلى لحن على حاشية الطريق
كانت الراقصة الوحيدة قد انتهت
والطفل من نافذته يعد بأصابعه ما تساقط من عنب
ما الذي تسمعه في كتاب الأصوات سوى خفق قلبك.
انظر أمامك
سكينة تغطي بريّة شاحبة.

- 47 -

هكذا تجيء نسمات البحر:

فرح ضاحك يمشي على الماء

امرأة منتشية

رمال تنحني على بعضها في شغف بهيج.

الأصوات حين تجيء النسمات البالغة الفخامة

تستكين بهدوء.

- 48 -

وحدك أيها العجوز على سطح البحر
سمك ينساب على جانبي القارب الهرم
لا صيد اليوم
زرقة السماء
هي زرقة الماء
ستكتفي بلحن قديم تمده للسيّد البحر
هو يعلم أنك تعبت
وأن الأوراق الساقطة على الأرض تبكي بلا صوت.

- 49 -

في الليل
حيث تظهر الأسرار الخبيئة
والجيران تخفت أصواتهم
والعصفور يغني آخر لحنه
لا يقلقك سوى
صوت قطرات العمر في الغرفة الباردة.

- 50 -

فان غوخ يدخل البهو قلقاً بعض الشيء
بعينيه المتعبتين يمسح المكان
لا يرى سوى ظلال
كأس الماء يتحاور مع ضوء الشمس قرب النافذة الصغيرة
الكرسي يعطي بظهره للقطة النائمة قرب المدفأة
الأزهار الصفراء الذابلة تتعلّق بحاشية الزجاج كأنها لا تريد الرحيل.
فان غوخ يخرج من البهو تاركاً قلقه على جدران عالية.

- 51 -

انتظرني عند المفترق

قالت الفتاة وهي تومئ بيدها

لم تذكر اليوم ولا الساعة

فقط انتظرني

وهي تومئ بيدها.

في المقهى القديم

عند شجرة الصنوبر الطويلة

جلست الفتاة، حقيبتها الكبيرة بين ساقيها في اتجاه الشمس التي أشرقت قبل دقائق.

كنزتها فوق المقعد وبين أصابعها وردة احتفظت بها من لقاء قديم.

هل سيأتي، قالت الفتاة وهي تتابع صعود نملة
شجرة الصنوبر.
قد تكون على موعد قالت الفتاة
حملت حقيبتها ، التفتت إلى أول الطريق
ومضت.

- 52 -

ستترجعين إلى بيوتك أيتها الكائنات
فأنا أعلم أن الوقت يسترق السمع
وأن المكان لا يضيق بالأسرار
ها هو النبع يرقى عاليا في صدر الصخر
ها هو العشب يلوّح من بعيد للعائدات من الحقل
ها هو الراعي يدندن لحنه المفضَّل في الفضاء الرمادي.

تجلس وحدك ترقب السيارات تعبر الشارع الرمادي
مختلفة الألوان
الأبيض العادي والأبيض الميتاليك
الأحمر النبيذي
......
....
.....
طفل الجيران خلف الشجيرة تلمحه واقفًا بالبامبر
رائحته لا تصل إليك.
خمسون سيارة عبرت ساحتك
لا الشبان توقفوا ولا العجائز ابتسمن إليك

لا يمكنك أن تتحمل حرارة الظهيرة
غير أن الرجوع إلى البيت معضلة كبيرة
فتاة مونيه المزيفة بهتت ضفائرها
وابتسامتها صارت كأنها على وشك البكاء
حتى الكؤوس وراءها غادرها النبيذ
سترجع على كل حال
ستفتح ثلاجتك القبيحة ربما تجد زجاجة
الكوكاكولا وتلعن أميركا ، يمكنك أن تتمدد
على سرير له
رائحة النحاس المؤكسد ، فأنت لست سوى
عجوز وحيد متقاعد ، لا يملك إلا بضع سنوات من الأرق
والأحلام المشوشة عن حياة قديمة ورخيصة .

- 54 -

الصباح

في جبة الريح

صباح جميل.

ظلال الرمل

- 1 -

اعلم أن الأسود لا يخدعه ضوء النافذة
وأن الأزرق الرائع يتوج رأسك
وأن العينين الوادعتين تفتشان عن الأحلام البعيدة
وأن الكتفين يستسلمان لاسترخاء الحرير المذهب
وأن الشفتين مقفلتان على كلام كثير
وأن القرط يتدلى بأبهة في سماء الله
أعلم أنك ستذهبين وقورة وهادئة
كما البحر حين تغفل عنه العيون.

- 2 -

هل هذه طيور أم قوافل سابحة في الفضاء؟
لا الأزرق يخبر عنها
ولا القاعدون على الأسرة في الغرف الدافئة.
هل هذه بيوت في سراب الماء
أم بدو يهربون من رياح قديمة؟
لا الرمل يخبر عنهم
ولا الثعالب التي وقفت على التل منذ دهور تقتفي آثارهم.
هل هذه ظلال مدينة أم نواح ناي؟
لا الصورة تخبر عنها
ولا البصر يخرج من ظلمته.

- 3 -

تنحني المرأة في ردائها
الأزرق على كلام أبيض
والضوء يحضن سجادة المكان
يتحسس أطرافها علّه يفهم
ما الذي تفكر فيه المرأة المنحنية
في ردائها الأزرق على كلام أبيض
العينان لا تنظران إلى النافذة العارية
العينان لا يبصران رقص
النحلة فوق الزهرة الصفراء
العينان يفتّشان في قلب
اللحظة الخالدة عن كلام أبيض.

- 4 -

قد يصل الماء إلى فطيرة الخبز
قد ترتعش اليدان الغارقتان في الضوء
قد لا يأتي الحبيب الليلة
لن تشعل قنديلها
لن تفتح صندوق أسرارها
لن تغلق نافذتها
لكن الفطيرة ستكون
جاهزة على كل حال.

- 5 -

في حديقة الشهوة
العاريتان جالستان تعصران
الخمر في جرار اللذة
شجرتا اللوز تنشران عطر البتلات
على عشب الحديقة الأحمر
السيدة على سريرها في اتكاءة مشبعة
والحمامة البيضاء من طرف خفي
تتابع اهتزاز الصدر العاري

- 6 -

الصبايا اللائي أتين قبل الغسق ليقطفن حبات الزيتون
كن على علم بأن الذي رحل مع البرية قبل الصعود
ختم بإصبع الدهشة على نهد الغابة سره
الذي حشر الوحوش في براري النزوات مستلق على
العشب البليل يراقب صحوة الخيل في فلوات الوقت
كنّ على علم بما قالت السحب إذ مرق في الأفق برق
بالغ اللمعة إذ انحنى خاطر من صيف بعيد على شبابيك
المدينة يمسح من على حيطانها ما تجمع
من أرق الليالي.

- 7 -

هاأنذا اتبع إصبع الرغبة
على حواف الجسد المشدود
أقلب سواكن القلب الخبيئة وأنثر الفضة
رمل المسافة سمع ما جاءت به
العصافير من غابة الهموم
مدّ ألسنة الكلمات إلى حيث الهمهمات
تبارك وجه الذي صعد الجبل
الجدران واقفة بهدوء الحكماء تراقب
ظلين يتلويان تحت سراج خافت

- 8 -

قد تأخذ الأرض زرقتها
من السحب العابرة
قد تضع جسدها المثقل بالثمار
وليمة لحيوانات البرية
قد تجلس في المساءات الخريفية
تنصت إلى صخب الأطفال إذ يمرحون
قد تتحاور والأفق المشاكس
عن عذرية الفجر
قد تنام كقديس نسي
كيف تقال الكلمات
لكنها أبدا تتطلع لرفقة البيت
واقفاً هناك فوق التلة العالية
يحرسها من شراك السماء

- 9 -

الماء لا يلتفت إلى البيوت
واقفة في ضوء الشمس
الماء يحمل قواربه الخشبية
إلى كهف البحيرة المظلم
الماء يمدُّ على سطح المدى
وليمته لحوريات فاتنات
الماء يتحاور والمدى
المقوَّس منذ دهور

- 10 -

الأصوات البعيدة شفافة وعالية
كما الأشجار في الريح
تحلق مع الكواكب في سماء بعيدة
تأخذ من الماء
صورته ، رقته وانحناءاته
إلى برار القلب حيث كل شيء مباح.
الأصوات البعيدة تقف في فناء البيت
تجمع أحلام العاشق
تحدِّق في ضوء الشمس
وتعلّق لحنها الرائع
على مفترق الطرقات.

الأصوات البعيدة لا تنظر وراءها
تتبع حرير الهمسات
وتمشي صامتة إلى المقبرة.

- 11 -

من الذي ربط الحصان على العمود الخشبي الأسود؟
القدمان الأماميتان تضربان الأرض
تطلبان نجدة الخيل في الأودية البعيدة
الحصان يهز الحبل بقوة
يفكّر في الريح التي خانته
في البيداء التي غابت عنه
الحصان لا يفكّر في العمود الخشبي الأسود
لأنه لا يراه

- 12 -

فارس وقوس ونشّاب وحصان أسود
يعبرون الصحراء في صمت
لا يسأل الحصان سيده عن
حمائم تطير في الفضاء
لا يسأله عن ثعلب خطف القنفذ الصغير
تحت شجرة الطلح الجافة
لا يسأله عن احتضان الكثيب للحصى المدور
لا يسأله عن صفير الريح قرب التلال العالية
لا يسأله عن شوقه الدفين لفرس طفولته الشهباء
ما يفعله هو أن يسمع همهماته وكثير من الحزن

- 13 -

الكاتب جالسًا في عريشة السنديان
لم تأت الريح إلى حديقته هذا المساء
ولم يلتفت إلى الشجرة ترقص قرب السور
ولم يلتفت إلى الخادمة تشعل أعواد البخور الهندي
الكاتب حزين هذا المساء
لأن الكلام لم يعد ملكه
ولأن الخيالات التي كان يلهو بها هربت مع النهار
ما الذي يفعله كاتب يجلس في عريشة السنديان
سوى أن يتأمّل يده المرتعشة.

- 14 -

النافذة أعطت ظهرها لزرقة السماء
هى مشغولة بالراقصات اللائي دخلن الحجرة
بالفتاة ذات الشعر الطويل تهدهد نهدين كادا أن ينفلتا
بالحيطان تزيح من أمام عيونها ظلال الفتنة
النافذة فرحانة بالأجساد تخاصرها النشوة البالغة
"سيكون للسماء يوم آخر"
تقول النافذة في همس.

- 15 -

هي اللحظة إذا
الصخور التي عانقت قمة الجبل
تسبح في سديم شفيف
يمكنها الآن أن تتحسس جسد الماء
يمكنها الآن أن ترى العالم من جهة جديدة
كم هي قريبة من العشب الأخضر
وقريبة من نخيل يلوح لها ضاحكاً
ليس على الصخور الآن أن تتطلع إلى الأسفل
وليس عليها أن تحارب السحب كل مساء
عليها أن تتطلّع إلى أعلى
وتغطس عميقاً في الماء.

- 16 -

ما الذي يتبقّى من المرأة الواقفة أمام المرآة
لو حجبنا الضوء الداخل من شقٍّ الباب؟
ظلال سميكة على سطح المرآة.
ما الذي يتبقى من المرأة الواقفة أمام المرآة
لو لم تلتفت صوب الزهرات البيضاء؟
عزف ناي حزين على سطح المرآة.
ما الذي يتبقى من المرأة الواقفة أمام المرآة
لو لم تقف أمام المرآة؟
قصيدة تنتظر على سطح المرآة.

- 17 -

فِي النصف الأعلى من السجادة
دائرة خضراء فيها رجل وامرأة
ربما يتحاوران، ربما على وشك أن يتعانقا،
ربما على وشك أن يفترقا،
لكنهما لا يذهبان إلى أي مكان.
على الجانبين من الدائرة الخضراء
قصب أحمر وحمامتان، ربما من شط العرب
أو ربما من بقايا من رحل من الأندلس.
لا القصب الأحمر يميل
ولا الحمامتان تطيران فِي الفضاء.
فِي أسفل الدائرة الخضراء مثلثات ودوائر

بحجم راحة اليد ، تصعد الزفرات في المكان
دوائر ومثلثات.
أمـــام الـــسجادة يقـــف رجـــال بجلابـــيب مـــن صـــوف
مراكشي
وعمائم من فاس ينظرون وينظرون
ربما يتكلمون ذات نهار ،
ربما يتكلمون ذات ليل.

- 18 -

خاتم الفضة يحيط بالإصبع الناعم
يقول ما لا تبوح به
الحناء الثقيلة على ظاهر اليد.
الوشم على الجبين
يشير من طرف خفي
إلى الزهرة الوردية النائمة
في راحة اليد
لا يقلقه لمعان الفضة
لا تقلقه النقوش البربرية
لا يقلقه ضيق النافذة الحجرية
ولا انهمار الضوء الخجل
على كتفي الصبية البربرية.

- 19 -

يحلو لصاحب الدار أن يجلس
كسيِّد مهاب في الحجرة الملكية
آمر الشرطة بقبعته الطويلة يحاول
أن يكون منسجمًا مع المكان الملكي
يهزُّ رأسه ويضرب بيده
على فخده حتى يراه الحاضرون.
لأن للعازفة فستاناً طويلاً
يمكنها أن تفتح ساقيها في الحجرة الملكية
سماعي ثقيل
رمل المابة.

العازفة تحرِّك أصابعها على أوتار
لا تعلم أن ابنتها قد بصقت دمًا هذا الصباح
أن زوجها لا ينام الليل وهو يقرأ أوردته المعهودة.
في الغرفة الملكية
كل شيء مباح للسيد
ولآمر الشرطة الذي يحرِّك رأسه
ويضرب فخده بيده ليراه الحاضرون.
في الغرفة الملكية
تموت الطفلة
ويختنق الزوج بأوردته المعهودة.

- 20 -

لندخل إلى غرفة الشاعر
أربع لوحات على الجدار فوق السرير
كرسي خشبي قرب الطاولة
تنظر إليه النافذة التي منعت الليل من الدخول
مرآة مستطيلة ممتلئة بضوء المصباح
كرسي آخر قرب الباب لصديقة الشاعر
فوق الطاولة
قنينة ماء
أوراق كتابة
قلم رصاص
وكأس نبيذ.
لنخرج من غرفة الشاعر
ونترك القصائد تكبر حتى الصباح.

- 21 -

في الليل
في ساعة محددة من الليل
في الطرف الشرقي من المدينة
قرب الجسر
تطرح السحب غطاء رأسها الأزرق
على البيوت النائمة
تنادي المصابيح المنتظرة فوق الجسر
أن تغطس في الماء
تسمح للقمر أن يجلس على الصخرة العالية
يضع أسماكه الملونة في الماء
يسمي كل واحدة باسمها
ويتطلع إلى البيوت التي أطفأت أنوارها
عله يقتنص من شقوق أبوابها بعض التنهدات.

- 22 -

البحّار الذي جلس في الركن
حيث الظل لم يسرقه ضوء الحانة الرخيصة
كان يفكر في الغابة التي أطلت برأسها من وراء الجبل
هل كان عليه أن يذهب هناك؟
هل المرأة التي جاءته في أحلامه تنتظر هناك؟
قالت له وهي تداعب بنعومة شديدة شعر لحيته:
لن تأخذ البحر أبدا
هو سيأخذك إلى ضفاف العمر ويذهب وحيدا
قصيرة حصيرة البحر
ونحيلة أعواد ناره
أنت تشرب من عصير عنب أراضي لم تعد تذكرها
وهو يشرب حيرة عينيك التائهتين
فتخبو شعلة الحياة

- 23 -

القوارب التي عادت إلى الشطّ أنزلت أشرعتها ولم تتكلم
كانت قوارب أخرى أضاعت أشرعتها منذ شهور
تدق بيد الريح على الصواري
قال الشط رافعا رأسه إلى أعلى:
أين الرجال السمر الذين دخلوا البحر؟
أين التوابل تفوح روائحها في الهواء؟
أين العبيد ومزامير العازفين وأين القواقع والمحار الأحمر؟
القوارب التي عادت إلى الشط وأنزلت أشرعتها
زفرت عاليًا ونظرت إلى البحر الذي أخذه الجزر إلى
حافة الأفق.

- 24 -

في الخريف يحلو للقرية أن تزين بيوتها بالأحمر القرمزي

فأحلام العائدين من الحقول حين يستلقون بعد شرب الشاي

تكون كذلك قرمزية

عندها تلتصق أجساد الرجال والنساء

وتصدح الحشرات بألحان الشهوة

فالنطفة قرمزية

والمضغة قرمزية.

- 25 -

للقرية أبواب سبعة
واحد للشتاء
واحد للربيع
واحد للصيف
واحد للخريف
واحد للفضاء الفسيح
واحد للأرض الكتومة
وواحد للقصيدة.

- 26 -

حين دخل الغريب القرية مع الصباح
تابعه العصفور الواقف على السور الحجري
أخفى أغنيته داخل جناحيه
السحب البيضاء مدت رقابها من فوق أشجار البلوط
قالت:
من هذا الذي يمشي قرب الجرف العالي
لعله المحارب الذي أخذته الحرب
أم ذاك الذي خطفته الذئاب من الوادي
الغريب الذي دخل القرية مع الصباح
غادرها قبل أن تستيقظ أحلام القرية من نومها.

- 27 -

بحر ينبع من جنب المرأة النائمة على الثلج
يحمل بذور ذكورة جبال شامخة
يصهل كما خيل تجري على أجنحة الريح
في طريقه يضم إليه
أصوات الطين وحقائب الراحلين.
البحر
أوله
صلاة
وآخره
صلاة

سطح البحر
جلدي
وموجاته
تقلّب همومي
طريقه
بريتي أمدها أمامه
أسماكه
أصابعي
غمستها في الماء
مصبّه
عيني
منارة له
فلا يطوح في التيه.

- 28 -

للمغني

راحة البال حين يأخذه اللحن إلى رمال صفراء

للرجل العاري

مفاتيح القلق حين يقف أمام جنته ناظرًا إلى الأرض تتلو

أبجدية التخلق

للمرأة العارية

طهارة الظل حين تسند وليدها على يد الدهشة

للقادمين من كل حدب

عربات الرغبة تحمل قلوبهم إلى شطآن جديدة

للراحلين بلا زاد

عتبات الضوء تصعد بهم إلى سكينة الغياب

للصلوات

أبواب
للصلوات
أبواب
معلّقة على سرير الوقت.

- 29 -

سمكة خضراء تتدلى من جناحي صقر
أشواك صبيّر في رقاب رجال في آخر الصف
لا يمكنهم أن يخطفوا نظرة من جسد الصبية الواقفة
عند النهر
ولا العصفور يقدر أن يرجع اللحن الذي سقط على نهديها
يدخل القرمزي الفخور على أصابع المرأة الهادئة
وتختبئ النار في ظلال الحديقة.

- 30 -

في الصباح
الأطفال يجلسون في أحضان أمهاتهم
في انتظار الصيادين
الليل يرجع وحيدًا في سفينة القمر
والذين ذهبوا أخذتهم الشمس
إلى شواطئ جديدة.
الأشرعة صارت علما
تلوح به النسوة الباكيات
في ريح الغياب.

- 31 -

من هنا مر ماركوس اوريليوس
وقف أمام القوس الرخامي
تأمل ﻓﻲ النقوش تتلقف صوت البحر
لم يكن ثمة عشب ولا جذوع أشجار
لم يكن ثمة رمل ولا مطر
كان الجند المدجّجون بالحراب والسيوف
مصطفّين على جانبي القوس الرخامي
وكانت النسوة يرقصن على موسيقى البدو
كان النحيب وراءهم أكبر قامة من الإمبراطور
الذي لم يدر ما تفعله الريح
ﻓﻲ ساحة بلا عشب ولا جذوع أشجار.

- 32 -

في الغرفة المطلة على نهر أيوا التي لا تأتيها الشمس
إلا على جنب
تواصل التأمل في الطلبة العابرين الحالمين
تمد يدك علك تلمس الماء البعيد
تمد بصرك لعل الوريقات التي سقطت من العمر تسبح
مع النهر
تحيي الشجرات الناعسات في الظل الرطيب.
من الغرفة المطلة على نهر أيوا
تمد أحلاما جففتها صحراء البلاد الحزينة
خذلتها الرياح الموحشة القادمة من تاريخ الكآبة
خذلها قلب موجع بالوصايا السماوية

لعل تقاسيم فريد الأطرش في مقام حجاز كار كرد
تزيل غبار النهار الرمادي
وها أنت تعيد ترتيب البرنامج اليومي
قراءة في مكتبة البراري
فيلم قرزيخي
أرز أبيض وصلصة حارقة.
اللعنة لم تكن يومًا طباخًا ماهرًا.

- 35 -

الأصوات البعيدة شفافة، عالية كالأشجار في الريح.
الأصوات البعيدة بعيدة، تسبح مع الكواكب في السماء الفسيحة وتستعير من الماء صورته، نعومته، وانحناءاته. الأصوات البعيدة تجول في براري القلب، حيث لاشيء مباح.

الأصوات البعيدة تقف في فناء البيت وبصبر تجمع أحلام المحبين وتعلق ألحانهم الرائعة.

الأصوات البعيدة سعيدة، تتبع همس الحرير. الأصوات البعيدة تمشي في صمت إلى المقبرة ولا تنظر إلى الوراء.

- 36 -

إنك هنا وهم هناك، ما يجمعك مع نفسك لا يفرقهم ولا يجمعهم، يقرفصون تحت حائط مرت عليه كل السنين العجاف، يلتف كل واحد منهم بلباس البرية التي باعدت بينه وبين الذين مروا من هذا الطريق، أيديهم تسند رؤوسهم، يحلمون بجذب أحلامهم التي سبقتهم إلى ما وراء الأفق، الأحلام غادرت بيوتهم وبيوتهم صارت لا تفتح أبوابها للطيور. إنك هنا وهم هناك، هل سمعت أغنيتهم عن الليل؟، هل شققت واديهم الذي جفت ضروعه وتحسست قلبه؟. ما الذي أخبرك به؟. أم أنك طأطأت رأسك ومضيت ككل مرة إلى حلم في سماء بعيدة عنك؟

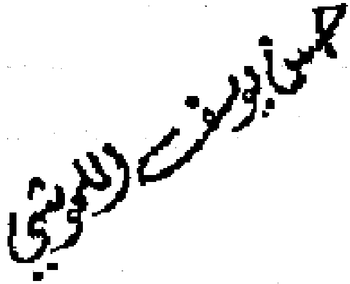
- 37 -

أرواح معذبة على شاشة خالية
قماشة ناعمة تهمس لكانفاس خالية
وضوء معذب يحيك أفكاره بالموسيقى
يشارك جمال نغم رافض مع خطوات متوحشة.
يمكنه أن تقبض على الأزرق الشاسع
يمكنه أن تغلق عيون الليل
وعندما يأتي محاطاً بملائكة المبعدين
يمكنه أن يقفز فوق تردد الشهوة
لكن ماذا لو
ماذا لو، فتح أبوابه على ....

- 38 -

مطـر يتـساقط، الأقـدام مـتوازية مـع الرصـيف الـذي يـصعد الهضبة، علـى الجانـبين أقـدام أخـرى بأشـكال مختلفة، سـريعة الإيقـاع، تتلاقـى وتتقاطع مع بعضها، غير أن ما تحمله منفصل وبعيد. ضحكت طفلة تجرها أمّها وراءها رافعة نظرها إلى أعلى. كان يمكن له أن يكـون أبـا لطفلـة في عمـرها، مـاذا كـان سيـسميها؟ وردة؟ أم عائشة علـى اسم والدته؟. أمّه التي رحلت منذ سـنين، لم يحـضر جنـازتها، أخـبروه بعـد أسـابيع مـن وفاتهـا، لم يـتمكن مــن الـبكاء ولم يـتمكن مــن الحـزن، كـان يـرغب في ذلـك، لكـن البـكاء والحزن مقدسان، ولم يكن ذلك المكان طاهرا.

كل صباح، كان يراقبها وهي جالسة القرفصاء ماسكة الملعقة الصغيرة بيد وبالأخرى الطاسة الزجاجية، تحرك الكاكاو بعناية بالغة وعقلها هناك حيث أهلها في بيت الطين، ومرتع الزيتون. مطر يتساقط، يبكي على طين يعرف حرقة الانتظار.



تنفيذ الطباعة والتجهيزات الطباعية

دار قبــاء الحديثــة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

جمهورية مصر العربية

16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر

تليفاكس 02/22621365 - محمـول 0123140315

E-mail: modern_qubaa@hotmail.com



■ يقدّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آملاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام